

Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)
مجلة جامعة أم درمان الاسلامية
https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj
. https://doi.org/10.52981/oiuj.v18i2.2287



2022; 18(2):78-104

ISSN: 5361-1858

منهجية النصيحة في المنظور الاسلامي

دكتور احمد غالب علي مغلس– أستاذ مشارك في الدراسات الإسلامية ، كلية التربية – جامعة عدن ، الجمهورية اليمنية ، عدن.

Dr. AHMED GHALIB ALI MUGHALISS, Associate Professor of Islamic Studies, College of Education - University of Aden, Republic of Yemen, Aden.ب

بريد إلكتروني: mogles66@hotmail.com

جوال رقم ((00967730265159

للاستشهاد بهذا المقال:–

غالب علي مغلس ا. (2022). منهجية النصيحة في المنظور الاسلامي . *مجلة جامعة امدرمان الاسلامية*, *18*(2), 78-104. https://doi.org/10.52981/oiuj.v18i2.2287

المستخلص :

نظرا للأهمية التي تكتسبها النصيحة في المنظور الاسلامي فقد رأيت أنه من الواجب التعاطي مع هذا النوع من الدراسات والبحوث التي تلامس الحياة اليومية للانسان المسلم والمفاهيم والقضايا التي تؤثر هي الاخرى سلبا او ايجابا في واقعه المعيش، وقد قسمت هذا البحث الى مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة.

اما المقدمة: فقد اوجزت فيها الدوافع والدواعي والاسباب التي كانت وراء هذا البحث والمنهج المناسب للبحث.

واما المدخل: فقد جعلته للتعريفات المتعلقة بالبحث ككشاف معرفي له.

اما المبحث الاول :فقد جعلته للأسس المنهجية التي تقوم عليها النصيحة في المنظور والتصور الاسلامي معتمدا على ذلك بما جاء في كتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

واما المبحث الثاني: فقد احتوى على المقاصد والاهداف الدينية والاجتماعية والتربوية التي تقف خلف النصيحة في المنظور الاسلامي.

اما المبحث الثالث: فقد كان للوسائل التي تتوفر في المجتمع ويجب على الناصحين والموجهين والخطباء والتربويين والدعاة استخدامها للتواصل مع المستهدفين.

اما الخاتمة: فقد كانت الخلاصة لما توصل اليه البحث وما يجب علينا في المجتمع الاسلامي حيال منابر النصيحة ووسائلها واجهزتها المختلفة حتى تجد النصيحة الطيبة والمخلصة طريقها الى وعي وسلوك ابناء المجتمع على اختلاف اعمارهم ومستوياتهم.

الكلمات الاستفتاحية: منهجية، النصيحة، المنظور الاسلامي.

Abstract :

According to the importance which the advice granted in the Islamic perspective, I've figured in such kind of studies and researches that especially involve in Moslims daily basis life, the comprehensions and the cases that effect either positively or negatively in his reality, and I've put this research individually into introduction and a portal, three other researches and finally a conclusion.

The introduction: it's been briefed into the stimulates, reasons and causes those were behind this research and the appropriate method for it.

The portal: I made it for the definitions those related to the research as a knowledge explorator for it.

First research: made it in the methodological fundamentals the advice based on in the Islamic perspective and imaging depending in what exists in holly Quran and Sunnah of the prophet MOHAMMED peace be upon him from praised ALLAH.

Second research: it included aiming to the religiostic, sociable, and pedagogical principals and goals that stands behind the advice of ISLAMIC perspective.

The final research: it is about the Means which provided in the community, and preachers, mentors , educators must use them to communicate with the targets.

Finally the conclusion: it was the summary of what it has been reached through the research and what we should be indicated in our ISLAMIC society about the pulpits and their potentials and various devises, until the gentle devoted advice finds it avenue to the awareness and conduct of the community members despite their variety in numerous ages and stages.

المقدمة

الحمد لله الذي استخلفنا في الارض وجعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف ونتآلف ونتحاور ونتعاون على البر والتقوى أمرنا بحسن القول وأكمله وانفعه قال تعـالى:(يآ أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (الاحزاب: 71، 70).

وأصلي وأسلم على سيدنا ونبينا وحبيبنا و قدوتنا ومعلمنا محمد رسول الله وخاتم أنبيائه، ورحمته إلى الناس كافة، ألقائل:(الدين النصيحة)(صحيح البخاري، كتاب الايمان، 2000م)، والقائل عليه الصلاة والسلام: (ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحُطها بنصحه، لم يجد رائحة الجنة)(صحيح البخار، كتاب الاحكام، 2000م)، فكان كما وصفه ربه سبحانه وتعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم) (القلم: 4)، علم المسلمين حتى قيام الساعة كيف ينصح بعضهم بعضا، انطلاقا من قاعدة المحبة، مثلما علمهم كيف يكون التناصح بالحسنى، والموعظة بالتي هي أحسن وأقوم وأعدل في القول والفعل، امتثالا لقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (النحل: 125)، مقدما الحكمة على الموعظة والنصيحة حتى لا تتحول النصيحة والموعظة الغير منضبطة بالحكمة والتروي وتقدير حالات الاخرين إلى عنف لفظي وأحكام لا أساس لها من الصحة في الواقع المعيش، فتُقابل النصيحة بالرفض، ويتعرض الناصح للكراهية، والمنصوح للنفور والعناد.

من ألمؤكد أنه لن تتسع للناصح أو للداعية صدور المستهدفين من النصيحة سواء أكانت النصيحة فردية أو جماعية إن لم تكن الموعظة والنصيحة قد حملتها حكمة ورؤية وهدف، كما أنه لن تنفتح قلوب المستهدفين بالنصيحة بغير

التزام الضوابط التي تضبط وتهذب النصيحة والموعظة بما يناسبها من الكلام والوقت والمقام، في الوقت نفسه سوف لن تساعد تلك الموعظة والنصيحة المبتورة أو الخالية من قواعد الحكمة على سموا أخلاق المنصوحين أو المستهدفين منها تربويا، لأنها ستقلل حتما من تنامي مودتهم للناصح أو الداعية، لأن النفور الحاصل من الموعظة أو النصيحة سيتسبب في الكثير من الاضطرابات النفسية والاختلالات التربوية لدى الفرد أو الجماعة.

إن ذلك النفور الحاصل لدى شرائح المجتمع مما يطرحه بعض الوعاظ ورجال التربية سببه سوء تقديم النصيحة من جهة، وفظاظة الواعظ أو الداعية أو الناصح من جهة أخرى، هذا ألنفور الحاصل لا يخدم – على المدى القريب أو البعيد – سلامة التعايش الاجتماعي إذا لم يتم تدارك الامر من قبل المؤسسات المعنية بهذه البرامج الحساسة اجتماعيا وتربويا ودينيا، كما إن العلماء والدعاة ورجال التربية والتعليم معنيون قبل غيرهم لبحث ما يذهب ذلك النفور ويصلح العطب الحاصل في وعي المستهدفين من النصيحة.

ستظل النصيحة إحدى أهم وسائل التربية الاسلامية لتحصين ووقاية وحماية الاجيال ومعالجة أي اختلالات سلوكية أو انحرافات فكرية تتصادم مع ثوابت الدين والمجتمع، ستحول النصيحة الايجابية دون تسرب أو انتشار أي ثقافات وافدة تتهدد الناشئة، حيث يتم تحميل النصيحة حزمة من القيم والآداب والمحاذير والتعاليم التي نود تحصين وتغذية وعي الفرد والجماعة بها، والتأثير المباشر وغير المباشر في سلوك المستهدف أو المنصوح بواسطتها.

إن النصيحة الايجابية والسليمة تعتبر صمام أمان في مجتمعنا العربي، كما هي وسيلة إصلاح فعالة للفرد والجماعة معا، لو لم تكن النصيحة كذلك لما اختزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين كله في النصيحة، جامعا بها ومن خلالها كل ما يهم المسلم من قيم وآداب وتربية وإصلاح وتنوير وموعظة وتوجيه وإرشاد، لإن النصيحة تعد عنصر تذكير دائم للمسلم من كل ما يترصده من شرور ومهالك، وهي في الوقت نفسه وسيلة تحصين ضد الامراض القلبية والروحية والفكرية والاخلاقية والاجتماعية والتربوية التي تصيب المسلم، إن لم تهز تلك المخاطر أمن واستقرار وتعايش المجتمع برمته.

لذلك فإن سلامة واستقامة النصيحة والموعظة وقيامها على قاعدة من الفهم والحكمة في القول والعمل مرهون بسلامة واعتدال التدين لدى القائمين على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقائمين على أجهزة الوعظ والارشاد وخطباء المساجد، حتى تصبح النصيحة مقبولة لدى المنصوحين و فاعلة ومؤثرة فيهم، في المقابل ستكون مقبولة و مؤثرة ومثمرة لدى الحاكم والمحكومين على المستوى العام، لأن النصيحة تعتبر أداة التغيير السلمية والعقلية والشرعية في المجتمع، الامر الذي يساعد بشكل كبير على استقرار وتنمية وتطور ونهوض وتماسك النسيج الاجتماعي.

تساؤلات الدراسة:

- كيف لنا أن نؤسس لخطاب وسطي معتدل يحمل النصيحة الطيبة والحكيمة؟ في المقابل كيف نربي وندرب ونهذب المتعهدين بالتوجيه والارشاد والخطابة وتعريفهم كيفية حمل فضائل الدين ومحاذيره وتفعيلها في إصلاح ومعالجة ومقاومة كل ما من شانه التأثير السلبي في المجتمع، وتفعيل دور فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟.
- هل باستطاعة المجتمع المسلم أن يجعل النصيحة مؤسسية من خلال مراكز أبحاث ودراسات وأكاديميات تقوم بمهمة إعداد وتدريب الموجهين والاخصائيين الاجتماعيين والدعاة والمربين وخطباء المساجد والوعاظ، نظرا لأهمية النصيحة والتوجيه في المجتمع حتى تصبح تلك الفضيلة عنوانا لخيرية الامه الاسلامية ودليلا حيويا على وجودها وفعلها الانساني

والحضاري، مصداقا لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران: 11)؟.

- كيف لنا أن نعلم ونربي وندرب كل الذين يقومون على أمر النصيحة في المساجد والمدارس والجامعات والاندية والمنتديات الثقافية والاجتماعية على اللغة والاسلوب والحكمة والرحمة والمحبة والتواضع التي ينبغي توافرها في الناصح والمربي والموجه والخطيب والداعية حتى تقبل نصيحته؟.

إشكالية الدراسة:

إن المتتبع لأمر النصيحة والتوجيه والارشاد في مجتمعاتنا يجدها تعتمد على الفردية أكثر من اعتمادها على المؤسسية والعمل المنظم، الامر الذي جعل من النصيحة واجهة للاستخدامات والاغراض التي يسعى لها الداعية أو الخطيب أو أولئك الذين يقفون خلفه منتظرين الحصاد أحزاب كانت أو جماعات، لذلك فإن العديد من الدول الاسلامية تسعى وبشكل مواكب للأحداث والتطورات المتسارعة محليا وإقليميا ودوليا إلى ضبط وتهذيب خطابها الرسمي أو الدعوي والارشادي والتوجيهي داخل المجتمع.

ويترتب على عدم الاهتمام بأمر النصيحة والتوجيه والارشاد ووضعها في المحك المؤسسي القائم على الدراسة والبحث والتجديد والتطوير قضايا وأمراض ومشاكل فردية واجتماعية نذكر منها على سبيل المثال:

أ- تفاقم المشاكل والامراض الفكرية والنفسية داخل المجتمع بشكل مخيف.

ب- استخدام ضعفاء الدين والاخلاق النصيحة وسيلة للكيد والدسائس وتوجيه الشباب نحو العنف والتخريب والتدمير للمجتمع ورفض كل ما من شأنه الحيلولة دون ذلك.

ت- فقدان دور المسجد في إصلاح المجتمع ومعالجة أمراضه ومشاكله.

ث- تفويت الفرصة على المجتمع في التنمية والنهوض والتطور الايجابي نظرا لتلك الاختلالات التي لم يقم بواجبه نحوها.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول بالقراءة والرصد والتحليل أبرز العوامل المؤثرة في مسار النصيحة إيجابا وسلبا، كما تحاول البحث عن سبل ووسائل اجتماعية وعصرية وحضارية وفكرية وثقافية تحمل النصيحة وتحدث تواصلا إيجابيا مع المستهدفين في العمق الاجتماعي.

تأسيسا على ما سبق يمكن أن نختزل أهمية الدراسة في الاتي:

- التركيز على الدور الاجتماعي في إعادة إصلاح منابر النصيحة وتحسين أداءها.
- إحداث نقلة نوعية لوسائل النصيحة من خلال تحول مصدرها مؤسسيا منظما ومنضبطا بالكتاب والسنة والاجتهاد السوي واحترام ثوابت المجتمع.
- رصد المشاكل والقضايا التي تنشأ عن بعض القائمين على أمور النصيحة وإخضاعها للدراسة والبحث والمعالجة المؤسسية المنظمة حتى لا تتحول إلى مرض عضال.
- استنهاض مؤسسات المجتمع كالأعلام والثقافة والاوقاف والارشاد والتوجيه والتربية والتعليم والجامعات بكل منابرها لتقوم بدورها الوطني والاجتماعي والانساني بشكل مرض وفاعل.
- التذكير بدور وأهمية المسجد في إرشاد وتوجيه وإصلاح ومعالجة قضايا ومشاكل وهموم المجتمع بشكل دائم وتواصله يجب ان يبقى إيجابيا ومقبولا.

– إن النصيحة جهد ومشقة والتزام لذلك لا توجد الا حيث يوجد الايمان الراسخ، لأنها تشيع ثقافة ودعوة الاعتصام والمودة والالفة والتعايش السلمي الامن بين الناس، لأن الحق الكامن في فطرة البشر مرتبط بقيم سلوكية وآداب اجتماعية تحتاج بين الحين والاخر إلى تفعيل و تحريك ومدافعة وتجدد وإصلاح وتعهد بالرعاية والتربية والتوعية المستمرة، لأن الايمان والعمل الصالح مرتبطان بشكل موضوعي بقيمة التواصي الدائم بالحق والمصابرة على تحمل تبعات الايمان والاستقامة، مما يدل على أن ثمة حاجة دائمة ومتجددة للنصيحة والتناصح.

– إن تواصل واستمرارية النصيحة والتناصح داخل المجتمع يفضي مع مرور الزمن إلى تقلص وانحسار أسباب ومسببات الخلافات التي دائما ما توجد في أي تجمع بشري، في الوقت نفسه تعمل النصيحة الطيبة على تنامي مستوى التقارب النفسي والفكري وقلة الجفاء والوحشة والتدابر بين شرائح المجتمع، أما إذا تسرب العناد والتدابر والتناحر إلى وعي وسلوك الافراد والجماعات في هذه الحالة يحتاج المجتمع إلى النصيحة المنظمة التي تحتاج إلى المتابعة آخذة بعين الاعتبار ضرورة المعالجة والتقييم المستمر للقيم و الاخلاقيات السلبية التي تسربت إلى المجتمع على غفلة من علمائه ومؤسساته ألتوجيهية والارشادية والتربوية والفكرية والثقافية والاعلامية.

- إن النصيحة في التصور الاسلامي مسؤولية فردية واجتماعية ومؤسسية، ترقى إلى درجة الفريضة الواجب أدءها على كل من يستطيع تبليغها و القيام بحقها، لأن أي خلل قد ينتج بسبب التناقض بين قول الناصح وفعله أو بين النصيحة وسلوك من يبلغها ويحملها– باعتباره قدوة – قد يؤدي إلى انتكاسة تربوية ودعوية بالغة التأثير، وظهور حالات من النفور الذي قد يتحول إلى كراهية مزمنة تضر بصاحبها والمجتمع معا.

منهج البحث في هذه الدراسة:

نظرا لطبيعة الدراسة وخصوصيتها المتركزة في استقراء وتتبع واستنباط مقومات المنهجية التي تنطلق منها النصيحة في التصور الاسلامي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ومن ثم الولوج في العرض والتحليل لتلك المقومات واستخلاص ما يمكن الاستفادة منه في بلورة رؤية نموذجية للنصيحة، هذا كله جعلنا نعمل في ظل المنهج الاستقرائي التحليلي، وهو من وجهة نظر الباحث الاقرب إلى واقعية المادة والمعطيات والابعاد التي تتوزع النصيحة في تصورنا الاسلامي.

قسمت بحثي هذا إلى مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة، راجيا من الله سبحانه التوفيق والسداد.

مدخل:

من المؤكد أن النصيحة باب واسع من أبواب التواصل مع الافراد والجماعات ولها من الاهمية والحساسية ما يجعل الاهتمام بها واجب شرعي على المؤسسات والعلماء والمجتمع والدولة حتى لا تغيب عن الاحداث والقضايا التي تشغل بال المجتمع والافراد، أو تلك الافكار التي تقتحم حياتنا ليل نهار، لذلك فقد كان لزاما أن ندخل إلى هذه الدراسة عبر مدخل متواضع نتعرف من خلاله على تعريف النصيحة في اللغة والاصطلاح وهي كالتالي:

قبل أن نلج في التحليل اللغوي للنصيحة لابد أن نُعرج على التحليل اللغوي للمنهج حتى يتكامل السياق أو البناء المعرفي لبعض المصطلحات التي نستخدمها في بحثنا هذا.

تعريف المنهج لغة:

مادة (نَهَجَ): قال علماء اللغة: " النَّهج: الطَّريق الواضح، كالمَنْهَج والمِنْهَج، ومنهَجَ الطَّريق وضَّحَهُ، والمنهاج كالمَنْهَج. وفي التنزيل قال تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)(المائدة:48). ونهجت الطَّريق سلكته. وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه. والنَّهج: الطَّريق المستقيم. ونَهَجَ الامر وأنْهَجَ لغتان إذا وضح. والنَّهجة: الرَّبو

يعلو الانسان والدَّابة. والنَّهَجُ بالتَّحريك والنَّهِيجُ: الرَّبو، وتواتر النَّفس من شدَّة الحركة. ونَهَجَ الثَّوب ونَهُجَ، فهو نَهِجٌ، وأنَهَجَ: بَلِيَ ولم يتشقَّق. ونَهَجَ كمَنَحَ ووَضَحَ وأوْضَحَ. وأنهج الطَّريق: وضَحَ واستبان وصار نَهْجاً واضِحاً بَيّناً. والمنهاج: الطَّريق الواضح " (ابن منظور (1375هـ، 1956م)، مادة نهج).

مما سبق يمكن لنا ان نستشف بعض المعاني لمادة نَهَجَ ومشتقَّاتها فقد وردت على لسان علماء اللغة بعدَّة معاني منها:

أ . الطَّريق الواضح البيّن، أو الطَّريق المستقيم: وبهذا المعنى ورد قوله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)(المائدة: 48)

ب . الطريقة التي ينتهجها الانسان أو المسلك الَّذي يسلكه في حياته ومعاشه.

ج . تواتر النَّفَس وتتابعه من شدَّة الحر: كما يقال: فلان ينهج من شدَّة الحر.

د . البِلى والضَّعف: ومنه قول العرب نهج الثَّوب: أي بَلِيَ.

المنهج في الاصطلاح

1- أما المنهج في الاصطلاح: فيقصد به " الطريق الواضح المعالم، والخُطَّة المرسومة بدقَّة "(ابن منظور، (1375هـ، 1956م)، مادة نهج، الفيروز أبادي (بدون) فصل النون والواو، باب الجيم، 1/ 210)' والمنهج في عرف العلماء: هو " التنظيم المنطقي السليم لمجموعة من القضايا الفكريَّة بقصد الكشف عن أمر مجهول، أو بقصد إثبات صحَّته أو فساده إن كان معروفاً "(حسن عبد الحميد، رسالة دكتوراه، جامعة الازهر، كلية أصول الدين بالقاهرة، ص9).

2- والمتتبع للمنهج في القرآن الكريم وسبيله الواضح البيّن في عرضه وبنائه لجميع تشريعاته وأحكامه يجده بينا واضحا. قال تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الانعام:153). " الصراط: الطريق الَّذي هو دين الاسلام. مستقيماً: معناه مستوياً لا اعوجاج فيه. فأمر باتباع طريقه الَّذي طرَّقه على لسان نبيّه وشرعه، ونهايته الجنة، وتشعَّبت منه طرقاً. فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار " (أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي الاندلسي القرطبي (بدون)، 4 / 2573).

المنهج في الاستعمال القرآني:

3- وللمنهج في الاستعمال القرآني صور متعددة بتعدد جوانب الحياة ويقصد به "الطريق الَّذي يسلكه القرآن الكريم بالمسلم إلى إتباع مبادئه والتمسُّك بأحكامه " (محمد سعيد رمضان البوطي، 1985م، ص17)

4- ذُكرت كلمة منهج في القرآن الكريم مرة واحدة بالصيغة التي فيها ألف (منهاج)، و المنهج والمنهاج بمعنى واحد، أما لفظ الشرعة في اشتقاقه وجهان: الاوّل: بمعنى شَرْع بيِّنٌ واضح. والثاني: بمعنى شرع مأخوذ من الشُّروع في الشيء وهو الدخول فيه. والشريعة في كلام العرب: المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون منها. فالشريعة: فعيلة بمعنى المفعولة. وهي الاشياء التي أوجب الله تعالى على المكلَّفين أن يشرعوا فيها " (الامام الرازي (بدون)، 12 / 12)

ومنهاجاً: أي " طريقاً واضحاً في الدين يجرون عليه " (الزمخشري، 1987م، 640/1)

من هذا يتبيَّن لنا أنَّ الشَّريعة هي الامور التي يشرِّعها الله تعالى للمكلَّفين وأوجب عليهم إتباعها.

والمنهج: هو الطريق الواضح في الدِّين، فالشريعة والمنهج مترادفان غير أنَّ المنهج يطلق على النظام الالهي والنظام الوضعي بينما الشريعة لا تطلق الا على النظام الالهي. فيقال شريعة الله ولا يقال شريعة فلان. وهذا في الاستعمال السائد.

المنهج في السُّنَّة:

1- جاء بمعنى الشيء الَّذي ينبغي السير عليه وذلك في حديث حذيفة بن اليمان [*]عن رسول الله ﷺحيث قال: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون....) (الامام أحمد، (بدون) 4 / 273). أي على طريق النبوة.

المنهج عند التربويين:

5- يُعرف المنهج عند التربويين أو المهتمين بمجال التربية بأنه " مجموع الخبرات والانشطة التي تقدِّمها المدرسة تحت إشرافها للتلاميذ بقصد احتكاكهم بها وتفاعلهم معها. ومن نتائج هذا الاحتكاك والتفاعل يحدث تعلُّم أو تعديل في سلوكهم، ويؤدي هذا إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل الَّذي هو الهدف الاسمى للتربية "(محمد عزت عبد الموجود وزملاؤه، 1981م، ص11).

النصيحة في اللغة:

قال ابن منظور: نصح الشيء: خَلَص، والناصح: الخالص من العمل وغيره، أي أن النصح: الاخلاص والصدق في المشورة والعمل.

وقال ابن الاثير: النصيحة: كلمة يُعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له (ابن منظور، ط بيروت، 1375هـ، 1956م، مادة نصح).

اما في مختار الصحاح فقد جاء جذر " نصح" بمعنى نَصَحَه ونصح له، ينصح بالفتح فيهما، نُصحا بالضم، ونَصَاحةً بالفتح، وهو باللام افصح، قال تعالى (وانصح لكم)، والاسم النصيحة، والنصيحُ الناصحُ، وقوم نُصحاءُ بوزن فقهاء، ورجل ناصح الجيب: أي نقي القلب، والناصح الخالص من من كل شيء، وانتصح فلان قبل النصيحة، ومنه التوبة النصوح وهي الصادقة (الامام الرازي، 1986م، مادة نصح).

ومنه نصح الثوب خاطه من باب قطع، والناصح الخياط والنِّصاح بالكسر الخيط (الامام الرازي، 1986م، مادة نصح)، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب (الامام النووي ت676هـ 2006م ص 60)، ومنه ايضا نصحتُ العسل إذا صفيته من الشمع وخلصته (الامام النووي 2006م، ج1ص167)

النصيحة في الاصطلاح:

قيل النصيحة هي: " ارادة الخير للمنصوح له، فلا توجد كلمة أخرى يمكن أن تُعبر عن هذا المعنى غيرها(الامام النووي 2006م، ج1ص167)، وقيل هي:"الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد "(الامام الجرجاني، 1995م –1416هـ، مادة نصح).

وقيل: "النصح: إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه، ولذلك فإن النصيحة في اللغة والاصطلاح: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا، وقد جاء في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطش فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فأتبعه)(الامام مسلم، كتاب السلام، بدون)، وفي حديث آخر، قال صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة)(الامام البخاري 2000م، كتاب الاحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح).

إن النصيحة مهمة ومسؤولية حملها الانبياء عليهم الصلاة والسلام إلى قومهم وأممهم

فهذا نبي الله نوح عليه السلام ينصح قومه، قال تعالى: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }(الاعراف62)، وقال تعالى مخبرا عن نبيه هود عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأنا لكم ناصح أمين }(الاعراف68)، وقال تعالى مخبرا عن نبيه صالح عليه السلام: (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين)(الاعراف 79)، لما للنصيحة من أهمية وتأثير فقد كانت مسؤولية وواجب يقوم به كل من أراد الخير والصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك كله لا يكون الا عبر لغة المحبة التي علمنا إياها القرآن الكريم ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء رحمة وهدى وألفة ودعوة ودولة.

المبحث الاول

أسس منهجية النصيحة في المنظور الاسلامي

لا يختلف عاقلان حول الاسلام باعتباره دين ودولة، نظام حياة ومعيشة آمنة، مبني في عقيدته وشريعته وقيمه وتعاليمه وأنظمته على التعايش مع كل الاديان والافكار والاجناس عقديا وفكريا واجتماعيا وإنسانيا، نظرا لما يحمله من مقومات وشرائع وقيم ومقاصد تعزز إنسانية الانسان وتعيد تشكيله وتربيته، لذلك فقد تعايش الاسلام منذ أيامه الاولى وانتقاله من طور الدعوة إلى طور الدعوة والدولة، مع اليهودية وأتباعها في المدينة المنورة، والمسيحية في نجران والا دينيون المتناثرون في جزيرة العرب، وغيرهم من أصحاب الديانات والمعتقدات التي التقى بها في مرحلة الفتوحات وتمدد الدعوة والدولة الاسلامية إلى القارات الاخرى.

لما كان الدين الاسلامي الحنيف آخر الاديان وأكملها وأتمها فقد حمل إلينا كل أدوات ووسائل وبرامج التربية والاصلاح والتوعية والتحصين والوقاية والمعالجة، قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)(النحل: 44)، واضعا أمامنا نماذج عملية وواقعية لكل تلك الوسائل والطرق كالتربية والوقاية و التحصين والمعالجة... ألخ، إما بإيراد الصور والامثلة، وإما بتجسيد اللحظة وعوامل التربية والتوعية، وإما برصد العبر والعضات التي توضح لنا مآل الامم والاقوام والحضارات، والنتائج التي ترتبت لدى كل فريق أو أمة على القبول بالإصلاح الرباني، أو الرفض والتكذيب ومحاربة ذلك الاصلاح والتنكر له، قال تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }(الاحزاب62).

في ضوء تلك القيم والمعتقدات والمقاصد الشرعية واليسر و الاعتدال أخذت النصيحة مكانا مرموقا في ديننا الاسلامي، لما لها من دور إيجابي وحيوي في تثبيت قواعد الحياة الامنة والمستقرة، وإشاعة روح التشارك والتعاون والالفة، دورها الكبير في تعميق أواصر الاخوة والمحبة داخل المجتمع، لكن وجد مع هذه النصيحة مقومات وأبعاد ومقاصد ووسائل وآداب ومراتب لابد من الاخذ بها والعمل على بلورتها من قبل الدعاة والموجهين والمرشدين والتربويين والمعلمين وأئمة المساجد والخطباء.... ألخ، حتى تكون النصيحة فاعلة ومؤثرة، والا تنعكس سلبا على سلوك الفرد والمجتمع.

1- مقومات النصيحة:

إن للنصيحة في المنظور الاسلامي مقومات يمكن توزيعها على ثلاثة جوانب أساسية وهي كالاتي:

أ – موضوعية النصيحة: أي لابد من وجود موضوع أو قضية أو مشكلة تتم بلورة مضمون النصيحة من خلالها، والتواصل ألقيمي و الارشادي مع المستهدفين من أجلها، أي تكون بمثابة الطريق الموصل إلى المنصوح / المنصوحين، حتى لا تنطلق النصيحة من فراغ أو أوهام أو شائعات لا أساس لها من الصحة، فتحدث قطيعة نفسية وفكرية واستهجان بالناصح والنصيحة وذلك من قبل المنصوحين، فتحدث إشكالية النفور والتوجه صوب الفراغ والترفيه، لأن المنصوح يحتاج إلى محطات ومواقف ومواضيع ومشكلات تثير انتباهه وتركيزه وتحقق في الوقت نفسه مستوى جيد من القابلية لديه.

ب – القدرة الذاتية للناصح على التوصيل الجيد: مع توافر بعض الشروط والمميزات في الناصح، خاصة لدى أولئك القائمين على أمور التربية والارشاد والتوجيه والدعوة، سواء عبر منابر المساجد أو عبر الوسائل الجماهيرية والاجتماعية الاخرى، التي تتوزع المجتمع ومؤسساته، هذه الشروط والمميزات هي:

القدرة اللغوية والاسلوبية والحوارية حتى يستطيع إحداث تواصل إيجابي مع المنصوحين حول القضية أو المشكلة المراد معالجتها والحيلولة دون تفاقمها او توسعها وانتشارها سلبا داخل المجتمع.

تمتع الناصح بالحكمة والعقلانية التي تلهمه كيف يقدم الصواب، أويقترح الحلول والمعالجات للمنصوح / المنصوحين بشكل مقنع لا يثير الجدل أو يزيد الامر تعقيدا وسوء.

التزام الناصح أو المرشد أو الداعية أو المربي خلق اللين و الاعتدال والهدوء في الطرح والمعالجة والاقناع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ چطه: ٤٣ – ٤٤.

احترام الناصح للقدرات العقلية والاستيعابية والنفسية للمنصوح / المنصوحين.

جـ - حسن اختيار الناصح أو الموجه أو الداعية أو المرشد للمكان والزمان والمقام المناسب للنصيحة حتى لا يفقد التواصل مع المنصوح/ المنصوحين، وتفقد النصيحة مقاصدها وأهدافها، وقد تتحول النصيحة إن أساء التواصل سواء بالموضوع أو الاسلوب إلى حالة من النفور أو السخرية والاستهجان.

2- القواعد العامة للنصيحة:

من المسلم به أن تكون للنصيحة في التصور الاسلامي قواعد ومنطلقات واضحة وملزمة حتى لا تتحول النصيحة في المجتمع إلى مرتع لكل من يريد أن يشوه تعاليم الدين ويعيق في الوقت نفسه البرامج والمشاريع الرامية إلى تربية الناشئة على قيمه وتحمل أوامره ونواهيه، هذا الطرح لا يعني توقف دور النصيحة المباشرة بين الناس كأفراد، إنما يتناول النصيحة التي تتم عبر برامج ومشاريع مؤسسية، تتعاطى مع كل شرائح المجتمع بشكل منظم ومدروس، حتى تتساوق مع توجهات وتطلعات النظام العام للدولة، لأن الارتجالية في التعاطي مع النصيحة التي توجه للأفراد والجماعات والاسر والتجمعات يفقدها التأثير وتحقيق النتائج المرجوة منها، سواء على المستوى القريب أو البعيد، كما يحولها إلى أداة قد تستخدم ضد المجتمع وأمنه واستقراره وتعايشه، تلك القواعد التي أراها ضرورية للنصيحة حتى تقبل وتحترم من قبل المنصوح، يمكن أن نستشرف بعضا منها وهي الاتي.

- أن تضبط النصيحة بالأمانة والحرص على مصلحة المنصوح.
- أن تقوم النصيحة على بينة من العلم والمعرفة الشرعية.
- أن تكون موضوعية لا عشوائية، تحمل هدفا نبيلا يُرجى تحقيقه أو معالجة مشكلة مضرة بالفرد والاسرة والمجتمع، أو فكر لابد من توضيح أبعاده المدمرة على عقلية ووعي المجتمع، لا بد من التنبيه إليه وتفنيد مخاطره.
- التزام الحكمة في الطرح والمعالجة أو في تقبل التغذية الراجعة من قبل المنصوحين.
- الوضوح في توصيل النصيحة، بدون غموض أو إبهام أو تنطلق من أكاذيب وشائعات لا أساس لها من الصحة، فتنقلب حينها إلى جدل عقيم بين الناصح والمنصوحين.
- الجدية في تناول موضوع النصيحة، حماية لها من السخرية أو الاستهجان من قبل المستهدفين.
- خلق الاجواء أو البيئة المناسبة للنصيحة كي تساعد في تقبلها.
- الابتعاد عن تعنيف المنصوح / المنصوحين، أو الغلظة في الحديث، لأن ذلك يحول دون سماع أو تقبل النصيحة بسهولة ويسر، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الامْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(آل عمران159).

3- شروط النصيحـــة:

مثلما أن للنصيحة قواعد ضرورية لا بد من أن ننطلق منها، فإن لها شروطا ملزمة لكل من أراد أن يتحمل مسؤولية النصيحة والقيام بحقها، ضمانا للنتائج المرجوة من ورائها، يمكن أن نوجز هذه الشروط كالتالي:

- نبل المقاصد التي تقف خلف النصيحة، بمعنى الا تنطلق من حسابات ذاتية باتجاه المنصوح يقصد التوبيخ والاستنقاص حتى لا تنقلب سخرية بالاخر وتضييع الوقت وزرع المشاحنات والاحقاد... ليس الا.
- استخدام اللغة السهلة والواضحة والاسلوب القائم على التشويق وتحبيب الموضوع للمنصوح.

- التزام الوسطية والاعتدال في تناول النصيحة والتعاطي بها مع المنصوحين.
- إشعار المنصوح بالمودة والمحبة والاحترام حتى يتم قبول النصيحة والاستفادة منها من قبله.
- التزام الحق والصدق والانتصار لهما في حال تقديم النصيحة، لأن ذلك يُعد الجسر المهم للتواصل مع الافراد والمجتمع.
- الالتزام بمنهجية الحوار في طرح النصيحة إن كان المنصوح فردا أو أسرة أو طلابا في فصل دراسي أو قاعة محاضرات جامعية أو منتدى أو ناد أو منبر المسجد أو وسائل الاتصال المختلفة، لابد أن يبقى الحوار الجسر الحيوي لنقل الافكار أو القيم المراد تزويد المجتمع بها أو المعالجات التي يراد الاصلاح بها ووقاية المجتمع من خلالها.

4- آداب النصيحة وضوابطها:

أما آداب النصيحة فهي ملزمة لكل من أراد أن يقوم بهذا الواجب الشرعي، الانساني والاخلاقي في مجتمعه أو محيطه الجغرافي أو بيئته، عليه أن يلتزم الاداب والضوابط التي تسبق أداء النصيحة والقيام بها، لأن خلو الناصح من الاداب يُفقد النصيحة قوتها وتأثيرها ومقاصدها والمعالجة المنتظرة من ورائها، قال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } (البقرة44)، من تلك الاداب ما يلي:

- تحري الموضوعية والصدق في النصيحة.
- إن كان المنصوح فردا لزم الانفراد به بعيدا عن الاخرين حتى لا تتحول إلى فضيحة وتشهير بالمنصوح.
- التزام السرية حيال الموضوع المطروح أو المشكلة قبل وبعد النصيحة، لأن السرية تضمن تفاعل المنصوح مع الناصح وقبوله للنصيحة، كذلك احترام حق الاخر في الا يطلع على تلك الامور أحد خاصة بعد تحولها من نصيحة إلى نقطة ضعف من وجهة نظره على الاقل.
- التزام الجدية حال تقديم النصيحة، مع ضرورة تفادي الهزل والمراء مع المنصوح حتى يبقى الناصح ذو هيبة ومكانة محترمة حتى تقبل نصيحته، كذلك الابتعاد عن لغة التخمين في القضايا من قبل الناصح، حتى تؤخذ النصيحة بجدية وتتم المعالجة بشكل سلس وسريع.
- عفة اللسان عن السب أو التجريح يقوي دور ومكانة الناصح لدى المنصوح.
- التزام الناصح أو الداعية أو المرشد خلق التواضع مع المنصوحين لأنه عنوان الرجل الفاضل وأبرز صفاته.
- حسن الاصغاء من قبل الناصح للمنصوحين والمستهدفين بالنصيحة يقوي ويمتن الرابطة معهم.
- عدم الاسراف بالكلام في الموضوع أو المشكلة حتى لا يمل المنصوح / المنصوحين قبل تحقيق الهدف المراد من النصيحة أو المعالجة المطلوبة.

5- مراتب النصيحة:

للنصيحة مراتب ومستويات نظرا لأهميتها، باعتبارها خطابا يتعاطى مع الفرد والجماعة، مع الاطفال والمراهقين والشاب وكبار السن، مع الرجال والنساء، مع المتعلمين والاميين، مع المثقفين والبسطاء، مع المسلمين وغير المسلمين المشاركين لنا في المجتمع، أي أن كل شريحة من المجتمع تحتاج إلى خطاب يتناسب ووعيها ومداركها والفوارق المعرفية والمهنية لها حتى لا تصاب النصيحة أو الخطاب الذي يحملها بالجمود والسطحية، فهم وإدراك هذه المراتب والمستويات من قبل القائمين على النصيحة والدعوة والتوجيه والارشاد أمر ضروري وملزم، قال تعالى: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(سورة النحل: 125)، قيل في

تفسير هذه الآية: (أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح (بالحكمة) أي: كل احد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالاهم فالاهم، وبالأقرب إلى الاذهان والفهم وبما بكون قوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة والا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة وهو الامر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب)(عبدالرحمن السعدي1420هـ -2000م)، وقيل ايضاً: (الدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه، وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الاخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الاقناع والوصول إلى الحق)(سيد قطب، 1406هـ، 1986م)، لذلك فإن الخطاب القرآني قد أسس لهذه المستويات الضرورية في الدعوة أو النصيحة أو الارشاد، باعتبار التنوع في مراتب ومستويات الخطاب يساعد على التغيير الايجابي للوعي والسلوك الاجتماعي ويحسن من جودة التربية المنشودة للناشئة ويدعم المعالجات المخطط لها من قبل المؤسسات المعنية بذلك.

إن المتأمل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث السالف الذكر: (الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم)(صحيح :رواه مسلم (55)كتاب الايمان من حديث تيم الداري رضي الله عنه)، يجد هذه المراتب والمستويات هي نفسها التي جاءت في الاية الكريمة واضحة ومتلازمة، كما يجد التنوع في الخطاب المحمول عبر النصيحة، بحيث يأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية والعقلية والوظيفية والاجتماعية للمنصوحين، كما أصلت الاية السالفة الذكر قاعدة ذلك التنوع في الخطاب وكيفية التعاطي معه إن أردنا أن ينجح ويؤثر ويغير في المستهدفين)(د.عباس الجراري، 1429هـ -2008م)، قال الامام الغزالي رحمه الله: (المدعي بالحكمة إلى الحق قوم، وبالموعظة الحسنة قوم، وبالمجادلة الحسنة قوم آخرون) (الامام الغزالي، 1418هـ 1998م)، لأن (المنهجية تبدأ بالحكمة وهي جامعة للخير يمكن أن تلقى بالكلمة، ويمكن أن تعطى بالمثال والنموذج، ويمكن أن نُسرها للآخرين ونقنعهم بها بأساليب مختلفة كلها تدخل في نطاق الحكمة، الموعظة أيضا هي الكلمة التي تقوم على اللين، وتصل إلى قلب الاخر بطريقة ليس فيها عنف أو إزعاج، وليس فيها ما يثيره ضدك، وقضية الموعظة الحسنة هي تأكيد للكيفية التي ينبغي أن تكون بها الموعظة، كان من الممكن أن تكتفي الاية بالموعظة ولكنها وصفتها بالحسنة، لكي تكون أكثر قوة في التأثير، وقد ألح القرآن الكريم على الموعظة الحسنة في مواقف كثيرة ومن المواقف الصعبة التي أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه بان يلتزموا بها في حكمة ولين، حين طلب جل جلاله من موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون لمخاطبته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ طه ٤٣ – ٤٥. وعليه فإن اللين والموعظة الحسنة هما من مُشكّلات المنهج الذي يدعو إليه الاسلام في الحوار بعد الحكمة، ثم يأتي إلى المشكّل الثالث في المنهجية الاسلامية وهو المجادلة (وجادلهم) فحين لا تنفع الحكمة، ولا تنفع الموعظة الحسنة نصل إلى المجادلة، لكن هذه

المجادلة لا تعني التعنيف، ولا تعني الخصام، وإنما تعني تبادل الحجج ومحاولة الاقناع بها)(عبدالرحمن بن ناصر السعدي، 1420هـ –2000م) الامر الذي يجعل من الداعية أو الموجه أو الناصح والخطاب برمته محكوم بإعمال وتفعيل تلك المراتب والمستويات و الاخذ بها، حتى لا يحدث النفور وتتم القطيعة بين الخطاب والمخاطبين والناصح والمنصوحين.

من هذا المنطلق الموضوعي والمنهجي للنصيحة اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية بتلك المراتب وألزمنا الاخذ بها إن أردنا التعاطي مع المخاطبين بان يكون الخطاب حسب مستويات عقول ووعي وقدرات المخاطبين، لأن (التعددية هنا هي تعددية في مستوى الخطاب المفصح عن الحقيقة الواحدة، وذلك لتعدد مستويات المخاطبين بهذه الحقيقة الواحدة)(د. محمد عمارة، 1429هـ –2008م)، من هذا المنطلق يمكن أن نحدد مستويات ومراتب النصيحة وفقا لمراتب المنصوحين وهي كالتالي:

- المرتبة الاولى: تكون للنصيحة التي تحتاج إلى الحكمة والبساطة والتواضع من قبل الناصح أو الداعية وذلك في كل ما يطرح ويناقش، سواء مع الفرد أو الجماعة، بشكل شخصي أو عبر وسائل الاتصال الجماهيرية والمؤسسات المعنية بالتربية والتأهيل الاولي، لأن الشرائح المستهدفة على قدر متواضع من الفهم والتعليم فيكون الصبر والمصابرة والحوار الهادئ البسيط المدخل للنصيحة والتوجيه.
- المرتبة الثانية: تكون للنصيحة التي تأتي على هيئة الموعظة الحسنة، وهي التي يخاطب بها شريحة المتعلمين والمثقفين وشباب الجامعات ومن على شاكلتهم ودرجات وعيهم وسرعة فهمهم للمقاصد والابعاد والاهداف وخطورة تفسيراتهم لأي ضعف أو تلكؤ أو قصور الطرح الذي قد يفقد الخطاب أهميته ومقاصده.
- المرتبة الثالثة: تكون للنصيحة التي تحتاج الى جدال حسن وإقناع عقلي وبراهين عقلية ومنطقية، خطاب لا إجبار فيه ولا دعوة لفرض الافكار بالقوة، بل بالجدال الحسن والحوار الموضوعي المؤدب و الهادئ والمقنع، بلغة مشتركة وأسلوب حكيم متسامح وتواضع جم وفكر متقد ومتجدد، لأن النصيحة أو الدعوة أو الاقناع المطلوب للمستهدف / المستهدفين يجب أن يخاطب العقل ويستثير التفكير والتأمل، مهما كانت درجة الاختلاف في الرأي أو الخلاف في الفكر والمعتقد.

لمبحث الثاني

مقاصد النصيحة في المنظور الاسلامي

ما من شك بأن وصول تأثير النصيحة إلى المستوى المطلوب والمكانة اللائقة بها مقصد اساسي للمكلفين حتى تصبح عنوانا محترما للتواصل الفردي والمؤسسي مع الفرد والاسرة والمجتمع، كما أن التعاطي مع النصيحة بشكل إيجابي يوحي بوعي اجتماعي جيد باتجاه قبول أوامر الدين ونواهيه بصورة طوعية وقناعة ذاتية، في المقابل نحكم على مدى التأثير الكبير للنصيحة أو الدعوة أو التوجيه والارشاد، وقدرته على خلق قناعات فعلية ورغبة حقيقية للتغيير و الاصلاح الذاتي والمجتمعي، انطلاقا من وعي المسلم بمسؤولياته الانسانية والدينية و الاخلاقية تجاه ذاته ومجتمعه و أمته.

(والمراد بمقاصد المكلفين: الدوافع والدواعي التي تجعل المكلفين يتجهون الى عمل ما)(د. يعقوب بن عبدالوهاب الباحسين 1419هـ)، وهناك لفظ له صلة بمقاصد المكلفين، وهو النيات، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (إنما الاعمال بالنيات)(صحيح: رواه الامام البخاري، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله)، وهي:(جمع نية

وهي قصد الانسان بقلبه ما يراه بفعله)(ابي العباس شهاب الدين احمد بن ادريس القرافي.1994م)، ولما كانت النصيحة ذات أهمية كبيرة وعظيمة في المنظور الاسلامي، لما لها من دور كبير في تصحيح مسارات الافراد والجماعات وتحصينهم من كل ما يمكن أن يقتحم عقولهم وسلوكياتهم، فلابد للناصح أن يقصد بنصحه وجه الله اولا وأخيرا، وصولا إلى الوقاية الاجتماعية المستمرة سعيا لحماية الاجيال من أي فساد فكري أو أخلاقي أو ظهور بوادر العبث واللا مبالاة في الجانب السلوكي والمعيشي، لأن كل تلك الآفات تهدد مع مرور الزمن التعايش وأمن واستقرار المجتمع، من هذا المنظور السوي كان لابد من تتبع مجموعة من المقاصد التي تقف خلف ألنصيحة وهي كالتالي:

1- المقاصد الدينية للنصيحة:

إن الدين الاسلامي جاء بتصور ناضج وواضح لتربية الانسان وتحصين ووقاية وعيه من كل ما يؤثر فيه، من خلال منهج عملي مرن، لا يصطدم بأي حال من الأحوال فطرته وحاجاته وغرائزه الطبيعية وطموحاته ورغبته في الاكتشاف والابداع والتميز، ذلك المنهج الرباني – القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة – يُعد الانسان المسلم لبناء الحياة الكريمة القائمة على الايمان والعمل الصالح والعدل وإرساء قواعد التعاون على البر والتقوى، و الشراكة بالمعروف، وإدارة المجتمع كمؤسسة مشتركة على الجميع احترامها وحماية الحياة فيها وتنميتها، كما يدفع بالجميع لإصلاح إي خلل قد يظهر، ومواجهة أي فساد يسعى للانحراف بالمجتمع عن جادة الصواب أو أن يدفع بالدولة للانشغال بأمور وصراعات جانبية لا تخدم المصالح المشتركة لأبنائه إن لم تقع في مربع الصراعات التي تنهك وتدمر تلك المصالح.

لذلك فإن النصيحة في المنظور الاسلامي تتصل مباشرة بالأمة أي بالمجموع والسير العام، مثلما تتصل مباشرة بالفرد كوضع خاص مقترن به ويقاس في غالب الاحيان من خلال قناعاته ووعيه وسلوكياته باعتباره قاعدة الانطلاق للأمة، إنطلاقا من التكليف الذي يقيمه الاسلام على الفرد والاسرة والمجتمع والدولة، أي أن المسؤولية خاصة وعامة قَالَ تَعَالَى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة: ٧١ أمَا السنة النبوية الشريفة ففيها من التعاليم التي تحثنا على القيام بواجب تحمل المسؤولية سواء في مقامها العام أو الخاص ما يجعلنا نبرهن على عظمة المنهج وقدرته على خلق مقومات ومنطلقات التربية والتغيير في والوعي والتفكير والسلوك الانساني الفردي والجمعي على السواء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان)(صحيح: رواه الامام مسلم، 1412هـ -1991م)، وهناك الكثير من الاحاديث التي تحثنا على القيام بواجب النصح والتعايش الايجابي القادر على خلق بيئة متعاونة متكافئة متحابة.

إن النصيحة وفق المنظور الاسلامي هي صمام أمان وأداة حماية للعلاقات الحيوية في عمق المكون الاجتماعي سواء كان في شقه الانساني أو في تعدده الديني والمذهبي أو في منظومته الاخلاقية أو في تنوعه الثقافي و الجغرافي، تبقى النصيحة كمفهوم وواجب وقيمة في المنظور الاسلامي تبرهن على سلامة الصدر ودليل على محبة الاخرين، عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه، خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)(الامام مسلم، 1412هـ-1991م، كتاب الايمان).

هذا الحرص و الوضوح والموضوعية والاهتمام بالنصيحة في المنهج الاسلامي ينطلق من قاعدة التكريم الالهي للإنسان، قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }(الاسراء70)، تتضح وتعمل المقاصد الدينية للنصيحة المتوزعة بين التحصين مرورا بالمعالجة الموضوعية لجوانب الضعف الانساني والاختلالات المتوقعة في وعي الانسان وسلوكه وقناعاته وظروفه، وصولا إلى العمل الوقائي للفرد والاسرة والمجتمع من قبل المؤسسات الاجتماعية التي تحملت الامانة والتزمت القيام بالدراسات والبحوث والاستبيانات الدائمة والمستمرة لمعرفة كل ما يؤثر سلبا وإيجابا في الوعي والتفكير والسلوك والتربية والقناعات الاجتماعية، وفق خطط ومشاريع وبرامج متجددة مع تجدد الزمان والاحداث والظروف والمتغيرات المحلية والاقليمية والدولية، حتى المتغيرات الطبيعية الناجمة عن تغير فصول السنة تستوجب وفق التصور الاسلامي قيام تلك مؤسسات المجتمع الموكول إليها موضوع النصح والدعوة والارشاد والتربية والتعليم القيام بخطط وبرامج لدراسة وقياساً ثرتلك المتغيرات الحاصلة على وعي الناس وتفكيرهم وقدراتهم وأمزجتهم ومستويات تقبلهم لما يطرح أو يحاك أو يسرب إلى العمق الاجتماعي من أفكار وأخلاقيات أو فتن ودعوات تسعى للنيل من التعايش والامن والاستقرار الاجتماعي.

تربية الفرد والجماعة في المنظور الاسلامي تتخذ من النصيحة – وفق المقاصد الدينية –وسيلة هامة وحساسة لنقل الافكار والقيم ألمطلوب تغذية وعي الناشئة وشرائح المجتمع الاخرى بها، قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }(لقمان13)، هي أيضا وسيلة فعالة في التسريع الايجابي للمعالجات التي تستهدف خللا ما أو تغيرا حاصلا في الفرد والجماعة إنها جسر حيوي للتربية المتكاملة التي تستهدف الروح والجسد، الفكر والسلوك، لتشكيل مبادئ الحق والواجب معا، قال تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الارْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الامُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الارْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الاصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }(لقمان16-19)، سعيا لقطع الطريق أمام الاخلاقيات المريضة أو الموبوءة والرديئة التي تستهدف الناشئة، في الوقت نفسه تتصد ي وتحبط أي مشاريع وافدة تستهدف زعزعة التماسك والتعايش الاجتماعي حماية للفرد والمجتمع والدولة بشكل متناسق ومتناغم ومتكامل.

إن الدنيا في المنهج والمنظور الاسلامي هي مزرعة أو مقدمة للآخرة، قال تعالى:، (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }(الانبياء47)، وقال تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً{46} وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الارْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً{47} وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً{48} وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً الا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَد)(الكهف: 45-48)، لأن المنهج الاسلامي قائم على الشمول والتكامل والمعرفة الكاملة بالإنسان، قال تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الانسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً{54} وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ الا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الاوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً{55} وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ الا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً)(الكهف 54-56).

لذلك فإن المقاصد الدينية للنصيحة تأخذ بعين الاعتبار إصلاح الظاهر والباطن، التفكير والسلوك، لأن إصلاح التفكير والسلوك والمنهج والعمل في الحياة الدنيا يحقق الفوز والفلاح لصاحبه في الدار الاخرة، في الوقت نفسه تعترف المقاصد الدينية للنصيحة بالصراع ألدائم بين نوازع الخير ونوازع الشر في النفس الانسانية الامر الذي يجعل من النصيحة تقوية دائمة ومتجددة لدور النفس اللوامة، وصولا إلى مرتبة النفس المطمئنة، لذلك تسعى تلك المقاصد لتنظيم وتهذيب غرائز الانسان وحاجاته المادية والمعنوية لإصلاح مسار الجانب الروحي والانساني لدى الفرد والجماعة حتى يصبح الفرد عضوا صالحا، فعالا ومنتجا في المجتمع، في الوقت نفسه يصبح المجتمع بيئة صالحة للتربية المتكاملة وبيئة إيجابية للتعايش والتعاون والشراكة، تمارس في محيطه إنسانية الانسان بدون وصاية مفتعلة من قبل هذا أو ذاك، مثلما تتحقق خلافته في الارض وعبوديته الكاملة لله الواحد القهار.

2- المقاصد الاجتماعية للنصيحة:

مثلما أن للنصيحة مقاصد دينية تهتم بالجانب العقدي والروحي والاخلاقي لها أيضا مقاصد اجتماعية ذات دور ومسارات نبيلة ومحاذير عملية ومرنة، تتتبع مداخل ومواطن العطب والامراض الاجتماعية، تبحث في أسباب الاختلالات والتعثرات التي تصيب المجتمع، أو تترصد طريقه، لتُفشل بكل قدراتها وإمكانياتها برامجه وخططه ومشاريعه، تزرع الفتن لتقضي على تعايش وتماسك وتعاون أبنائه، لجعله في حالة من الاضطرابات والوهن والضعف والتشرذم، من هنا كانت النصيحة ذات أهمية كبيرة المجتمع المسلم.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وضع النصيحة في المكانة الرفيعة من منظومة الاتباع والالتزام بالاسلام باعتباره دين ومنهج حياة، حث المسلمين على التعاطي معها بشكل تلقائي ودائم، وصلت من خلال أوامره صلى الله عليه وسلم ليكون وجودها وتفعيلها عنوانا لوجود وفاعلية الدين وقدرته على إحياء المجتمع وتنظيمه وخلق بيئة نظيفة وداعمة للتعايش الاجتماعي بين مكوناته، من ثم نشر القيم الاجتماعية الفاضلة والتعاليم التي تهذب وتربي شرائح المجتمع على التعاون وقبول الاخر واحترام رأيه وحقه في التفكير و التعبير، في الوقت نفسه تعمل النصيحة كوسيلة اجتماعية لتحفزهم على التغيير والتجديد للمتغيرات ومتطلبات العصر العلمية والمعرفية والابداعية بشكل دائم لخدمة المجتمع ورفع مستوى وعيه وتفكيره وصولا إلى تحسين سلوكياته واختياراته، في المقابل يستطيع ضبط قناعاته حيال كل ما يهم ويؤثر في المجتمع سلبا وإيجابا.

إن الدين الاسلامي منذ اللحظة الاولى للدعوة والدولة دعا ومازال وسيظل يدعو إلى خلق الاجواء الامنة والاستقرار النفسي والمعيشي والاجتماعي لكل أفراده ومكوناته بدون تمايز أو استثناء باعتبار الجميع سواسية في الحقوق والواجبات، بشكل منظم غير عشوائي أو ارتجالي، لذلك نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرحلة الاسلام المكية

سواء السرية منها أو الجهرية لم يأمر أصحابه – وقد ظلموا وعذبوا ونكل بهم – ليقوضوا أمن المجتمع القرشي واستقراره أو يسعون في تخريب ممتلكاته أو قطع موارد رزقه وطرق تجارته أو إيذاءه في حياته اليومية رغم عن جهيته وتجبره تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ الا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الانبياء 107).

إن المنهج الرباني قائم على تربية الانسان وتهذيب أخلاقه وضبط سلوكه الخاص والعام، لذلك نجده يحذر من الغفلة أو انتهاك الحقوق والحرمات، إنه يؤكد حرمة وعظمة العلاقات الاسرية والاجتماعية، حتى لا يداخل ألمسلم في أي موقع وجد صفات الفرعونية والغرور بالسلطة أو القوة أو الجاه أو المال فينسحب باتجاه الظلم والتعسف والفساد، قال تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الارْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ{22} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ{23} أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد 22-24).

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم أعضاء في ذلك المجتمع وجزء من نسيجه الحيوي، قبل ذلك كله جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً{45} وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً{46} وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً{47} وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً{48})(الاحزاب 46-48)، وقال تعالى في آية أخرى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً{8} لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)(الفتح 8-9)، علينا أن نقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الاخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(الاحزاب 21).

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قدوتنا في دعوة الرحمة والمحبة والبناء والتنمية والتسامح والتصالح والالفة، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الامْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (آل عمران159)، إن الذي يدعو إلى الاعتصام بحبل الله لا يمكن بأي حال من الاحوال أن يدعو إلى الفساد والتفرقة والتشرذم والاحتراب والفتن وإقلاق المجتمع أو تقويض أمنه واستقراره، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }(آل عمران 103).

أما المرحلة المدنية أي مرحلة الدعوة والدولة في حياة ونهج ودعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد كانت واضحة المعالم منذ البداية، حال وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة، فقد شرع في وضع لبنة التعايش الامن و المجتمع المستقر المتعاون، حيث بدأ تلك المرحلة بوضع الوثيقة التي تضمن وتحترم حقوق الاخرين المتفق أو المختلف معهم، بما يكفل لك حقوقه وواجباته، الامر الذي حصن المجتمع من أي اختراق أو عدوانية، حتى ظهرت خيانة وغدر اليهود وتآمرهم على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخيانتهم للوثيقة والعهد المبرم معهم، ففي ذلك المنهج النبوي الداعي للتعايش والتكامل بين مكونات المجتمع كافة ما يجعلنا قادرين على خلق تناغم متنامي داخل مجتمعاتنا الاسلامية، تلك الدعوة لما فيها من قيم عظيمة تؤسس الحياة على بينة وتكامل لا إقصاء فيه لحق الاخر ولا تهميش لدوره وقدراته وشراكته وفاعليته.

لذلك فإن المقاصد الاجتماعية للنصيحة تجدد في الضوابط التي تحكم مسار النصيحة ووسائلها بشكل دوري، تتعهدها بالبحث والدراسة والابتكار فيما يخص الافكار الجديدة المطلوب التعاطي معها وتوصيلها إلى الوعي الجمعي والمؤسسي، خدمة للتنمية ودفعا باتجاه الربط بين الخطط والبرامج الرسمية والتفكير والتفاعل الجماهيري المطلوب توافره وتحقيقه، بلورة تلك الخطوات وفق منهجية متكاملة مشفوعة بآلية مرنة وخطاب متجدد وناضج، ليس ذلك فحسب، بل

النزول الميداني المباشر لرصد نسبة القبول أو الرفض، جمع نقاط القوة والضعف أو الخلل والقصور في ذلك الخطاب، وعدم الاكتفاء بما يقوله المتعاطفون أو التيار المؤيد لذلك الخطاب، لأن نجاح المقاصد الاجتماعية للنصيحة يبدأ من نقطة الوعي المتكونة لدى القائمين على المنابر و مؤسسات الوعظ والارشاد والتوجيه والتربية والاوقاف بأهمية تجديد الخطاب والاساليب واللغة والوسائل والمواضيع والقضايا التي تهم المجتمع وتساعد على تنمية وعيه وتفكيره وتحسين سلوكياته وصور تعاطيه مع المرحلة والظروف والواجبات والحقوق التي يؤمن بها ويسعى للحفاظ عليها.

3- المقاصد التربوية للنصيحة:

مثلما أن للنصيحة مقاصد دينية واجتماعية، لها وبشكل واضح وجلي مقاصد تربوية مهمة وخطيرة، لأن النصيحة تستهدف الفرد مثلما تستهدف الجماعة، تستهدف الاسرة مثلما تستهدف المدرسة والمسجد والنادي والمنتدى...ألخ، خاصة في ظل المجتمع القائم على النظام والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، لذلك فإن المجتمع المسلم معني في ترجمة المنهج الاسلامي في هذه الزاوية من الحراك الاجتماعي اليومي، بشكل متسق مع القيم والمثل والتعاليم التي يأخذ بها ويلتزم بمكنونها النظري والسلوكي، سعيا لتربية الاجيال عليها، سواء من حيث الالتزام والتدين أو من حيث التعايش والتكامل مع من حولهم ووعيهم بالخطاب الاسلامي الوسطي المعتدل، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }(لقمان13)، نصيحة محمولة على خطاب أبوي وتربوي راق، يأخذ بالحسبان الاسئلة التي تتصارع في عقل وعي المتلقي بدون تكلف أو تجاهل.

في ضوء معرفتنا للمقاصد التربوية للنصيحة لابد من تبني المنهج القائم على التربية المتكاملة التي تستهدف الروح والجسد، الفكر والسلوك، الواجبات والحقوق، قواعد الاتفاق والاختلاف، لتشكيل مبادئ ومنطلقات الحق والواجب معا في الوعي الاجتماعي، تفاديا للفساد الذي قد يظهر سواء في التفكير أو السلوك، لذلك التربية المتكاملة تعمل على قطع طرق الفساد ومبرراته، قال تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الارْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الامُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الارْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الاصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }(لقمان16-19)،

لأن النصيحة الهادفة ذات المقاصد التربوية تعتبر معالجا موضوعيا فعالا لما يظهر من ضعف أو اختلالات أو فساد لدى الفرد أو الجماعة سواء أكان في الجانب العقدي أو الاخلاقي السلوكي، لأن تجاهل الاختلالات أو بؤر الضعف الاجتماعي التي تظهر بين الحين والاخر في هذه المدرسة أو تلك بين شباب الجامعات أو داخل أندية الرياضة قد تصيب المجتمع بعاهة دائمة تستعصي إن تركت على المعالجات، بل وتقود المجتمع إلى حالات من الامراض والتعثرات التي تفتك بالتنمية وتعيق النهوض والتطور قال تعالى: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ{65} قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ{66} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{67} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ{68})(الاعراف 65-68)، الجهود الاصلاحية المستمرة لابد وأن تأخذ بالحسبان قبول أو رفض تلك المعالجات، قال تعالى: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ{79})(الاعراف 79).

لابد من توخي الحذر مع المستهدفين أو المنصوحين حتى لا يتكون حاجز نفسي قد يأتي على كل القيم التربوية التي نسعى لتزويد المنصوحين بها، علينا أن نهتم كثيرا بمصادر النصيحة ووسائلها التربوية إن أردنا تحقيق التعايش الامن

والتنمية الاجتماعية المتسارعة لابد من التعاطي مع القيم التربوية بشكل متكامل ومتوازن لأن المجتمع في عصرنا الحاضر لم يعد مغلقا، بل أصبح مفتوحا بلا أبواب، سماؤه وأثيره يكتظ بالتيارات والافكار والثقافات والقيم والحروب والصراعات، سباق محموم باتجاه كل الاصعدة والمقامات والمستويات والشرائح، العالم لا يعرف حدا لذلك السباق ولا نهاية لتلك الصراعات التي لا يمكن لمجتمع مهما حاول سد أفقه وأبوابه أن يعمل على إيقاف تلك الثورة المعرفية التي تستخدم من قبل كل الاطراف والامم والديانات والثقافات والافكار، كل حسب برامجه ومشاريعه ومخططاته وقدراته ومقاصده، لذلك فإن المؤسسات المعنية بتفعيل المقاصد التربوية للنصيحة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار كل المفارقات والاحتمالات والاختراقات وكل ما يمكن أن يفد إلى المجتمع بخيره وشره، واضعة في الحسبان القدرة المعرفية والفكرية والثقافية والتربوية التي تسهم في تربية وتحصين وحماية المجتمع بكل شرائحه وتنوعاته.

إن ديننا الاسلامي الحنيف قد أسس قاعدة إيجابية ومرنة ومتنوعة للنصيحة، تأخذ بالاعتبار كل جوانب الحياة، بحيث تتسق مع البعد الانساني والديني والاجتماعي والاخلاقي والتربوي لكل أفراد المجتمع بدون استثناء، سعيا لتأمين المجتمع ضد المخاطر والصراعات والاختلالات والامراض والاختراقات والحروب الخفية، الامر الذي أعطى للنصيحة في المنظور الاسلامي أهمية كبيرة ومساحة واسعة تترك للمتعاطين مع النصيحة والتوجيه والارشاد مؤسسات كانت أو أفرادا فسحة للعمل وقدرة على المعالجة، لذلك فإن النصيحة في مقاصدها الانسانية تسعى لحماية إنسانية الانسان من أي عبث أو انحراف أو استخدام غير لائق، كما أنها تستبق الاحداث بطرح المحاذير وتحقيق الوقاية اللازمة للفرد والمجتمع ورفع مستوى الوعي بما يتناسب والعصر الذي نعيشه ونمثل جزءا من مكوناته والمؤثرين والفاعلين فيه، الامر الذي يسهم بشكل متناغم ومتوازن بين التربية الايجابية والتفاعل المثمر تجاه القضايا الانسانية المشتركة مع المجتمعات الاخرى بما يساعد على التحول البناء والنماء الفعلي في علاقات المجتمع المسلم بمن حوله وما يعتمل في محيطه وعالمه.

المبحث الثالث

وسائل النصيحة في المنظور الاسلامي

للنصيحة وسائلها ومنابرها وطرقها المتعددة التي توافرت وازدادت مع مرور الزمن وتطور العلوم والتقنيات والتكنولوجيا، حتى أصبح بإمكان التعاطي مع النصيحة وبثها عبر قنوات ووسائل عدةسهلة وقادرة على الوصول إلى كل مكان واختراق كل الحواجز، لذلك فإن حساسية وخطورة تلك الوسائل تستدعي منا التعامل معها بحذر وعلمية ومنهجية، لا مكان للارتجال والعبثية والفوضى.

- تعريف الوسيلة:
- الوسائل: جمع وسيلة، على وزن فعيلة، وقد تجيء الفعيلة بمعنى الان (محمدبن ابي بكرالرازي 1415هـ).

ومن معاني الوسيلة عند العرب:

-الرغبة والطلب: يقال وسَلَ، اذا رغب؛ والواسل :الراغب الى الله عز وجل (ابي الحسين احمد بن فارس 1403هـ).

قال الراغب الاصفهاني: "الوسيلة": التوصل الى الشيء برغبة(ابوالفرج الاصفهاني،)، وقال ابن العربي: الوسيلة هي السبب الذي يحاول به المطلوب (محمدبن عبدالله الاندلسي، 1425هـ -02004م)، وقال ابن كثير:الوسيلة هي التي يتوصل بها الى تحصيل المقصود (ابن كثير، اسماعيل بن عمر القرشي، 1422هـ).

-0تعريف الوسائل اصطلاحا:

في الاصطلاح العام، هي: "الافعال التي يُتوصل بها الى تحقيق المقاصد "

وفي اصطلاح الدعاة:

" انها ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة الى الله على نحو نافع مثمر (د. عبدالكريم زيدان، 1412هـ)، وقيل: " ما يتوصل به الداعية الى تطبيق مناهج الدعوة من امور مادية ومعنوية (محمد البيانوني، 1412هـ).

1 -الوسائل الفردية للنصيحة في التصور الاسلامي:

مما لاشك فيه أن الاسلام قد أعطى للنصيحة دورا حيويا وكبيرا، شكل ذلك الدور قاعدة التنوع في التعاطي مع النصيحة كوسيلة إحياء ومعالجة وتربية، تمثلت كصورة عملية في الحقب والمراحل التاريخية للأمة من خلال الجهد الفردي لكل مسلم قادر على حمل أمانة النصيحة في مجتمعه والقيام بحقها، في الوقت نفسه تعاظم الدور الفردي للنصيحة من خلال علماء وفقهاء الامة بما لا يدع لمرتاب قول أو شك، سجل لنا التاريخ تلك المواقف ورجالها وظروفها الامر الذي يضع أمام القائمين على النصيحة في مجتمعنا الاسلامي ثروة ضخمة من التجارب والافكار والصيغ والوسائل والنجاحات وحتى الاخفاقات والاخطاء كلها تشكل نماذج عملية وموضوعية لتدريب وتأهيل المتعاطين مع النصيحة أو الموجهين والمرشدين في المساجد والمنتديات والاندية والمدارس.

الجهد الفردي للنصيحة في المنظور الاسلامي يقوم على أساس حب الخير للآخرين، كما أنه قائم على أساس منظم، لا مكان فيه للعشوائية أو الارتجالية القائمة على الجهل بالدين وأحوال وأمزجة الناس، لأن توافر الامكانيات والقدرات الذاتية تبقى محكومة بقدرة وكفاءة الناصح وتحمله المسؤولية بحقها، لذلك نجد النصيحة تمارس بشكل دائم، إنها دليل تفاعلنا الايجابي مع بيئتنا وتأثرنا وتأثيرنا فيها، إنطلاقا من إيماننا بوجوب النصيحة لمن يستحقها، كما أن أداءها لمن حولنا بشكل صحيح برهان على محبتنا لمن نتعايش معهم، في الوقت نفسه أداء النصيحة يُعد امتثالا عمليا لمنهج نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فعن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه، خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

إن الدور الفردي للنصيحة داخل مجتمعنا الاسلامي مازال فعالا بغض النظر عن سلامة وإيجابية النتائج لأن الحراك اليومي للمجتمع يولد الكثير من القضايا والاحتياجات والتجاوزات وظهور الاخطاء و المشكلات التي تستدعي قيام القادرين على النصيحة بواجبهم وتحمل مسؤولياتهم وفقا لما يمليه عليهم دينهم وضميرهم وأخلاقهم، يبقى هذا الدور محتاجا للتدريب والتأهيل والتربية والتوعية حتى لا يخرج عن مسار العمل المنظم داخل مجتمعنا حتى لا يتحول إلى وسيلة للتخريب وزرع الفتن والطائفية والمذهبية المقيتة، في الوقت نفسه تستدعي الظروف والمراحل والحالات منع بعض قصار العلم والنظر والمعرفة وعديمي الحكمة الاشتغال بأمر النصيحة في المساجد و الاماكن العامة والمدارس والمعاهد والجامعات، لأن دخول

أولئك في طريق النصيحة يسهم لا محالة في شيوع الفوضى وتحول المنابر إلى وسيلة للمراشقات المذهبية والدعوات المريضة والمغرضة التي تأكل المجتمع وتقضي على أمنه واستقراره وسكينته ووحدته.

لذلك فإن هذا النوع من النصيحة يحتاج إلى تعهد واهتمام كبير بالقائمين على أمر النصيحة الفردية والمباشرة إن كانوا ضمن الخطباء وأئمة المساجد والقائمين على التوجيه الاجتماعي في المدارس والاندية، وذلك من قبل المؤسسات والجهات المعنية بالتربية والثقافة و الاعلام والبحث العلمي وأقسام الدراسات الاسلامية في الجامعات، أو من قبل تلك المؤسسات المختصة بالوعظ والارشاد، لأن تحسين جودة وكفاءة الناصحين أو الموجهين والمرشدين يرفع من مستوى الاداء، مثلما ينمي مستوى التقبل لدى المستهدفين أو المنصوحين، يساعد في الوقت نفسه وبشكل عملي ومستمر على اختفاء الكثير من القصور والعشوائية لدى القائمين على أمر النصيحة، لأن تحسين جودة الناصح يعني تحسينا للقدوة المطلوبة القائمة على سلامة ونضج وتطابق القول والعمل معا، قال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }(البقرة44)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ{2} كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)(الصف 2-3).

النصيحة بمجملها كلمة طيبة ذات أهمية وحساسية ومباشرة وتأثير وتغيير في وعي وسلوك وحياة الافراد أو في الوسط الاجتماعي عموما، بما لها من قدرة على الملاحظة والمعالجة السريعة والضرورية والمباشرة، حيثُ امتدح الله تعالى تلك الكلمة الطيبة التي تخلق المحبة وتزرع الالفة وتوطد الامن والاستقرار والتعايش الاجتماعي، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء{24} تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ{25} وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ{26} يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ)(إبراهيم: 24-27)، كان لابد من تعهد كبير وتدريب وتأهيل مكثف للقائمين على هذه الكلمة الطيبة برفع مستواهم العلمي والمعرفي والذوقي والثقافي والفكري والاجتماعي بشكل مستمر ودائم بما يخدم الرسالة التي يفترض أداءهم لها وقيامهم بحقها، ضمانا لنماء دور المسجد والناصحين والمرشدين تجاه قضايا ومستجدات المجتمع، في الوقت نفسه تساعدهم تلك المؤسسات على خلق علاقات طيبة وشفافة بينهم وبين المجتمع الذي يتواجدون فيه، لأن وجود الثقة ونماءها المستمر والمتزايد بين المسجد والمجتمع أو المدرسة والاسرة أو النادي والمترددين عليه يعزز ويرفع من فاعلية وتأثير النصيحة، كما يعمل على تعاظم دورها في تحصين ووقاية وحماية المجتمع.

2 – الوسائل المؤسسية للنصيحة في المنظور الاسلامي:

تتعدد المؤسسات التي يناط بها أمر النصيحة أو التعاطي مع التوجيه والارشاد داخل المجتمع، من خلال تعاطي تلك المؤسسات مع شرائح المجتمع وفئاته العمرية والمهنية، كل حسب وعيه وتواجده واشتغاله وانتماءه المؤسسي ومستواه العلمي والمعرفي، حيث تمثل تلك المؤسسات ألقنوات التي تعمل على تشكيل الوعي وتطوير ووقاية وتحصين وحماية الفرد والمجتمع، حيث تقوم بتغذية الوعي الجمعي بالقيم والتعليمات والتحذيرات والضوابط ومنظومة الحقوق والواجبات الدستورية والقانونية المطلوب فهمها واستيعابها وتوافرها والالتزام بها في السلوك الفردي والجمعي وحضورها العملي في علاقة الفرد والجماعة بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة، سعيا لتربية وتنشئة المواطن الصالح المتفاعل مع كل ما يهمه ويهم مجتمعه وأمته.

تلك المؤسسات التي تقوم بأمر ومسؤولية النصيحة لابد وأن تبلور الخطاب الرسمي المطلوب للدولة وكيفية تغذية وعي الفرد والجماعة به، لأن تشكل القناعة الاجتماعية بسلامة وعظمة ونبل ذلك الخطاب يسهم بشكل إيجابي في رفع نسبة ولاء المواطن للوطن والدولة بعد الله تعالى، كما يسهم بشكل جيد في تعليم وتعريف المواطن بحدود حرياته وحقوقه

وواجباته، في الوقت نفسه تعمل تلك المؤسسات على بلورة قناعات الفرد والجماعة بضرورة وأهمية المشاركة والاسهام والتفاعل مع كل القضايا والهموم والنجاحات والاخفاقات و الايجابيات والسلبيات المؤسسية والاجتماعية التي تظهر بين الحين والاخر نتيجة الحراك اليومي للمجتمع، وسعيه الدائم باتجاه التنمية والنهوض وتحقيق متطلبات الامن والاستقرار.

لذلك فإن الوسائل المؤسسية القادرة على التعاطي مع النصيحة بمستواها الاجتماعي أو بحجم الامة، قد تزايدت وتنوعت بشكل كبير في عصرنا الحاضر، أتيح للأمة اليوم من الوسائل ما يمكنها من نقل رسالتها الدينية والاخلاقية و الانسانية النبيلة إلى كل الامم والشعوب حيثما وجدت وبكل اللغات، اخترقت تلك الوسائل المنازل والغرف والحدود المغلقة، لم يعُد أمام تلك الوسائل من حائل ولا حاجز يمنعها أو يقف دون وصول رسالتها وخطابها، هذه الوسائل يمكن تفنيدها وتقسيمها كالتالي:

أ _ وسائل الاتصال الجماهيري:

تتعدد وسائل ومنابر الاتصال الجماهيري بشكل ملحوظ، فهي تتوزع مصادر التلقي لدى الانسان، فمنها المقروء كالصحف والمجلات والكتاب والحاسوب والانترنت، ومنها المسموع كالمذياع والاشرطة المدمجة، ومنها المشاهد الذي يحمل الكلمة والصورة كعنصر تعليم وتأثير في المتلقي كالتلفزيون والسينما...ألخ، تلك المنابر والوسائل تتوزع وقت وحاجات وظروف واهتمامات وقضايا الانسان حتى كأنها لم تترك له فرصة لالتقاط أنفاسه والاختلاء بنفسه، كما أنها كثيرة الانتشار والاتساع وبكل اللغات، تتزاحم الاثير في ثورة علمية ومعرفية ومعلوماتية غير مسبوقة، لم يشهد التاريخ البشري مثلها، الامر الذي يدعونا كأمة ومجتمعات إسلامية لأن نجد مكاننا الفعلي والمؤثر فيها، بحيث نستطيع التعاطي معها واستخدامها بما يسهم في حمل رسالتنا ومنهجنا الاسلامي الوسطي المعتدل للبشرية جمعاء.

لذلك كان من الضروري علينا أن نهتم بشكل جاد ومنظم بتلك الوسائل العصرية واستخدامها بما يحقق الاهداف المثبتة سلفا في برامجنا ومشاريعنا التنويرية والتثقيفية والتعليمية، والبرامج الخاصة بالنصح والتوجيه المنظم، لتحقيق قناعات حقيقية لدى المجتمع فيما يخص تحصينه ووقايته من الحروب الاعلامية الموجهة، في رفع مستوى وعيه تجاه الشراكة التنموية وتفعيل دور المؤسسات والتشريعات والقوانين المنظمة للحياة اليومية وعلاقات المجتمع ببعضه أو علاقاته بالمؤسسات الوطنية المعنية بحياته وأمنه واستقراه، أو تلك المتصلة مباشرة بحقوقه وواجباته.

إن مفهوم ومدلول النصيحة متغير بحسب الزمان والمكان والانسان والوسائل والقضايا والاهتمامات وحاجات التربية، أو التعبئة والتوجيه والارشاد التي يطلبها الوعي والسلوك الاجتماعي، لذلك فإن النصيحة التي تنقل عبر وسائل الاتصال الجماهيري لابد وأن تقوم على قاعدة معلوماتية صحيحة، تأخذ بالحسبان ثوابت وقيم المجتمع وعدم تجاهل العقل النقدي لدى المتلقين، حتى لا تتحول تلك البرامج إلى حشو يومي للفراغ في خارطة البث الاذاعي أو التلفزيوني، أو الاصدار الصحفي.

إن دور ووظيفة وسائل الاتصال الجماهيرية اليومية مهما وكبيرا لا يمكن تجاهله أو التقليل منه في بلورة وإنتاج وتنوع النصيحة، بما يسهم في تحقيقا لنموا لإيجابي المطلوب للوعي والسلوك الاجتماعي بما يخدم التنمية المتكاملة أتوجه وسياسات الدولة، خاصة وقد أصبح الفضاء مزدحما بالتيارات والقنوات الفضائية على اختلاف لغاتها ودياناتها وحضاراتها، كل منها يحمل بصمات وفكر ومصالح وأهداف وثقافة وحضارة المصدر الذي يبث منه، وفق رؤيته وبرامجه ومشاريعه، هذه الوسائل المؤسسية يمكن لنا أن نمر عليها بشكل سريع تفاديا للتكرار والاطالة.

- الاذاعة:
- التلفزيون:
- الانترنت: وقد تعددت صوره واستخداماته حتى تحول بسبب التقنيات الحاسوبية إلى شبكة عنكبوتية واسعة الانتشار والتأثير في الوعي البشري. الصحافة: هي الاخرى تطورت مع تطور الحاسوب وأصبحت في متناول الجميع وبمستوى جيد يحفز المتلقي والقارئ على البحث والاطلاع. الهاتف المحمول: أصبح هو الاخر من أهم وأخطر وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحاضر.

ب _ منظمات المجتمع المدني:

تلك المنظمات المنتشرة والموجودة ضمن المكون الاجتماعي والسياسي يمكن لها أن تلعب دورا كبيرا في بلورة وتقديم النصيحة بصورة تتناسب والزمان والمكان، لأن وجودها إن لم يرتبط بهدف اجتماعي إصلاحي وتنويري يعمل على تنمية الوعي والسلوك الحسن والقيم النبيلة بشكل مستمر ودائم، ستبقى مكانا لا يخدم الا الفراغ والمشاريع الوافدة على المجتمع، أو منابر تخدم دعوات الفتنة والهدم والتدمير داخل مجتمعاتنا، من هذه المنظمات مثلا:

* المنتديات الثقافية والاجتماعية.
* الجمعيات الخيرية أو المتخصصة.
* النقابات والاتحادات.
* الاندية الرياضية.

لذلك كان لزاما أن توضع قواعد وأهدافا ومقاصد معلومة سلفا لكل من يسعى إلى التعاطي مع هذه المنظمات أو إنشاء مثل هذه المؤسسات الاجتماعية الحساسة في عملها ونشاطها، كما يتم متابعة ومراقبة برامجها ومشاريعها لمعرفة كل الابعاد المتناولة من خلالها حتى لا نكتشف يوما ما أننا نؤكل من الداخل وأن ألمجتمع يدمر بأيدي أبنائه.

الخاتمة:

إن البعض ليعتقد أن النصيحة أمر هامشي لا يُهتم بها أو يعطى لها الامكانيات التي تنميها وتطور أداءها، يرى البعض أن تذهب تلك الامكانيات إلى غيرها من متطلبات المجتمع، والبعض الاخر يعتقد أن النصيحة قد خولت لمنبر المسجد وحده دون متابعة أو مراقبة، لا حاجة لإشغال مؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الاتصال الجماهيري في مجتمعنا بها، حتى تصبح مرتعا لكل حاطب ليل، لأن المعتقد ذلك قاصر النظر والتفكير والوعي، لأن النصيحة عمل عظيم القدر والحساسية والمسؤولية والاهمية في مجتمعنا الاسلامي، فقد جعلها رسولنا الكريم _ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم _ عنوانا للدين وبوابته وجانبه الحيوي المتجدد، حين قال عليه الصلاة والسلام: "الدين النصيحة ".

إن المنافسة والمدافعة الايجابية والمبنية على أسس عقلية ومنهجية تساعد فعليا في ترسيخ قيم المحبة والسلام والتعايش الامن مع الحضارات والديانات والاممالاخرة لا التصادم معها، أو التحامل ضد هذا وذاك لمجرد الاختلاف الديني أو الحضاري معه، أما العداوة المباشرة أو الاستكبار المبني على شهوة الاحتلال والاستغلال من قبل هذا أو ذاك فيرد عليه بما يبطل أهدافه ويحبط مخططاته ويوازي قدراته العلمية والعسكرية، لا الوقوف عند مستوى الشجب أو التباكي، بل في تفعيل العقل المسلم ودعمه وتشجيعه واستنهاضه بكل الوسائل والامكانيات والمغريات ليقوم بمهمته العلمية والمعرفية والحضارية

بشكل إيجابي، خدمة للأمة ودفاعا عنها وانتصارا لها، لا أن يقف عند مستوى التبرير للعنف والارهاب المجنون الذي يشوه صورة الاسلام بعنفه وتبلده، ذلك العنف يدمر الحياة ويقطع الطريق أمام تفوق واستنهاض الامة، لأنها تظل في عزلة ومتابعة ومراقبة، يصل إلى تخويف العالم منها نظرا لارتباط تلك الاعمال الاجرامية التي تحدث في أي مكان من العالم بأبنائها، حتى وإن نفذ تلك الهجمات متطرفون يهودا أو مسيحيون، السبب هو عدم استيعابنا الفعلي والموضوع لثورات العصر ونقلاته العقلية والحضارية.

ويمكن الوقوف أمام النتائج التالية وهي كالاتي:

- علينا الا ننعزل أو ننغلق على أنفسنا وأجوائنا بحجة الحماية والوقاية من الاخر المتربص بنا على الدوام، لأن ذلك التفكير ضرب من الجهل والسفه، واتساقا مع أسلوب النعامة في التخفي من العدو.
- نحن مدعوون إلى تفعيل العقلية الفردية والجمعية والمؤسسية حتى نستطيع تحقيق مقومات حماية المجتمع عقديا وفكريا وثقافيا بشكل يوازي التحديات المطروحة والماثلة من خلال تطور ونهوض وتفوق الاخر علميا ومعرفيا وتقنيا وحضارياً، بدون خوف أو هروب أو تعام أو تجاهل، لأن مجرد التفكير بلغة المستحيل يساعد الاخر على الغطرسة والتمادي في الاذى، من ثم يؤدي ضعفنا وتقاعسنا إلى إلحاق الهزيمة الحضارية والانسانية والمعرفية والعلمية بأمتنا بسهولة ويسر.
- حضور النصيحة كبرنامج ومشروع اجتماعي مؤسسي يسهم في تشكيل وعي الاجيال بما يتناسب وتحديات العصر بدون قفز على الواقع، شريطة أن يتم بلورة خطاب قادر على استيعاب المتغيرات المحلية والاقليمية والدولية.
- لابد من خروج المؤسسات ذات الطابع الاعلامي والمعرفي والتربوي والثقافي من دائرة الجمود والركود والاحباط إلى دائرة الفعل والتجدد والمنافسة، وعدم الانتظار السلبي الذي لا يحمي المجتمع ولا يخدم السلطة، بل يفشل في تحقيق الوقاية والحماية والتحصين المسؤوللهما معا، كما تظل الاجيال معرضة لكل الافكار والامراض القادمة من هنا وهناك.
- إن وظيفة وسائل الاتصال الجماهيرية _ الاعلام _ وكذا منظمات المجتمع المدني وقنوات التشكيل الثقافي والفكري في مجتمعنا يجب أن ترتقي إلتحمل المسؤولية الاجتماعية بكل أبعادها وقضاياها وتحدياتها ومقاصدها، تقف بجدية وعلمية أمام الرهانات المطروحة في الواقع المعيش، لأننا إما أن نكون أو لا نكون
- إن التفوق الحضاري والعلمي والمعرفي والانساني بحاجة إلى استنهاض الهمم والعقول وتوجيه وتوظيف الامكانيات المادية والمعنوية لخلق بيئة المدافعة الحضارية، بقصد موازاة الاخر إن لم يكن التفوق عليه إن استطعنا إلى ذلك سبيلا، كل ذلك يكون بالمراجعات والمكاشفات الجدية والصادقة مع الواقع والمرحلة، مثلما تكون بالمواجهات المؤلمة مع وضعنا وضعفنا واستهتارنا بإمكانياتنا وقدراتنا العقلية والحضارية بين الام، بدون شعارات تستهلك الزمن والامكانيات والفرص والمراحل، بل بعمل دؤوب و خطاب وسطي معتدل ومتزن ومتعقل يوازي مكانة الامة ورسالتها ومسؤولياتها في الحاضر والمستقبل.

في ضوء هذه المعطيات المنهجية للنصيحة في منهجنا الاسلامي (الكتاب والسنة النبوية الصحيحة) سعيت قدر الطاقة والامكانيات المتاحة خلال هذه المرحلة الملتهبة بالفتن في مجتمعاتنا العربية والاسلامية عامة، وفي مجتمعنا اليمني

على وجه الخصوص، إلى تناول هذا الموضوع المترامي الاطراف، بمنهجية وموضوعية ومقاربة فكرية تسمح بالتعاطي مع كل ما يمكن أن يشكل جزاء من هذا الواجب المقدس.

أتمنى أن أكون قد أسهمت بما استطعت إليه سبيلا في هذا المجال مع اعترافي بتقصيري وحاجة البحث إلى الكثير من المراجع، حسبي أني بدأت الخطوة والمشوار في هذه الورقة العلمية المتواضعة.

من الله التوفيق وعليه الاتكال والعون والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

قائمة الهوامش والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الامام البخاري / صحيح البخاري / تحقيق الشيخ محمدعلي قطب والشيخ هشام البخاري / المكتبة العصرية بيروت ط 1420هـ -2000م.
3. الامام البخاري / صحيح البخاري / كتاب الاحكام / حديث رقم 7150 / دار ابن كثير-اليمامة بيروت ط3 1407هـ -1987م.
4. الامام مسلم / صحيح مسلم / تحقيق محمدفؤاد عبدالباقي / ط بدون تاريخ / دار إحياء التراث العربي بيروت، كما رواه البخاري معلقا باب الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين.
5. الامام محمدبن ابي بكر الرازي /مختار الصحاح م / مكتبة البنيان – بيروت.
6. سيد قطب / في ظلال القرآن / 497/4/ دار العلم، جدة، السعودية، ط12، 1406، 1986م.
7. الامام النووي / شرح الاربعين النووية /تحقيق وتخريج الاحاديث محمد بن سيد بن عبد رب الرسول / الطبعة الاولى / القاهرة 1426هـ -2006م.
8. الامام النووي / نزهة المتقين (شرح رياض الصالحين)جزءان /الطبعة الاولى/دار المصطفى دمشق –سوريا -1427هـ -2006م.
9. منهج تربوي فريد في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، ط مؤسسة الرسالة، 1985م.
10. الامام الغزالي / إحياء علوم الدين – وبهامشه تخريج الحافظ العراقي /دار الفكر-بيروت – ط الثانية – 1400هـ -1980م.
11. الفيروز أبادي /القاموس المحيط،، دار الحديث، القاهرة، فصل النون والواو، باب الجيم، 1/ 210.
12. الامام ابي العباس شهاب الدين احمد بن ادريس الشهير بالقرافي/تحقيق:محمد حجي ورفاقه /نشر دارالغرب الاسلامي بيروت –الطبعة الاولى سنة 1994م.
13. ابن منظور/ لسان العرب،، ط بيروت، 1375هـ، 1956م،.
14. الفيومي /المصباح المنير،، مكتبة لبنان، ط بلونين ميسرة، بدون0
15. علي عبد الحليم محمود/ وسائل التربية عند الاخوان المسلمين،، ط دار الوفاء، ص16.

16. حسن عبد الحميد /منهج الامام الغزالي في التربية،، رسالة دكتوراه، جامعة الازهر، كلية أصول الدين بالقاهرة.

17. لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي الاندلسي القرطبي /الجامع لأحكام القرآن / دار الريان للتراث، طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب..

18. علي بن محمد الجرجاني /كتاب التعريفات / دار الكتب العلمية – بيروت ط 1995م -1416هـ.

19. محمد عزت عبد الموجود وزملاؤه /أساسيات المنهج وتنظيماته / دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م..

20. الامام فخر الدين الرازي ت 604هـ /مفاتيح الغيب / الطبعة الاولى / دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت –لبنان 1401هـ -1981م.

21. الامام لزمخشري/ الكشاف / دارالكتب -0 بيروت، ط2، 1987م.

22. الامام أحمد بن حنبل / مسند الامام احمد / تحقيق محمد عبدالقادر عطا/ دارالكتب العلمية -0 بيروت ط1 سنة 1429هـ -02008م.

23. دكتور عباس الجراري / مقالات في الحوار /ص 20/ منشورات النادي الجراري / الطبعة الاولى 1429هـ -2008م.

24. الامامأبوحامد الغزالي / إلجام العوام عن علم الكلام / ص74/ المكتبة الازهرية للتراث القاهرة ط (1418هـ - 1998م).

25. دكتور محمد عماره / الاسلام والتعددية – الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة / ص87/ مكتبة الشروق الدولية / الطبعة الاولى 1429هـ -2008م.

26. عبد الرحمن بن ناصر السعدي / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن / ص 452/ تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق / الطبعة الاولى –مؤسسة الرسالة (1420هـ-2000م) .

27. (*)هو حذيفة بن حسل بن جابر بن عمر العبسي، واليمان لقب أبيه، أسلم مبكراً، وشهد أحداً وما بعدها، وكان صاحب سر رسول الله في المنافقين، مات سنة 36هـ، تنظر ترجمته في: أسد الغابة، 1 / 468.

28. د.يعقوب بن عبدالوهاب الباحسين /قاعدة الامور بمقاصدها/ص28 /نشر مكتبة الرشد –الرياض – الطبعة الاولى سنة 1419هـ.

29. محمدبن عبدالله الاندلسي، الشهير بابن عربي / احكام القرآن الكريم / /تحقيق وتخريج:عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي -0بيروت -0لبنان -0ط1 1425هـ -02004م.

30. الامام الحافظ ابو نعيم الاصفهاني /حلية الاولياء / بدون تاريخ.

31. الامام اسماعيل بن عمر القرشي بن كثير/ تفسير القرآن العظيم /دار طيبة - ط1422هـ.

32.محمد بن ابي بكر الرازي / مختار الصحاح / مكتبة لبنان -0بيروت -0ط1415هـ.

33.الراغب الاصفهاني / مفردات القرآن.

34.ابوالحسين احمد بن فارس / مقاييس اللغة /دار الجيل -0 ط 1420هـ.